**المحاضرة الأولى**

**تعريف الاستشراق والمستشرقين**

**مفهوم الاستشراق : ORIENTALISME**

ليس سهلا أن نعرّف بهذا المفهوم ،لأن العمل الاستشراقي و فكره تعاورته ظروف شتى ، ومراحل تاريخية مختلفة ،أثرت في مبادئه وأهدافه وطرقه سيره ،يقول الدكتور وائل حلاق [[1]](#footnote-1):"يدرك أي متابع للحوارات حول الاستشراق وجود غموض شديد في المصطلح الذي يشير هذا المبحث المعرفي .." لانصباغه بصبغين المتناقضين لا يلتقيان ،العلمية والإيديولوجية ، لذلك يصعب على الباحثين فيه والدارسين له أن يعطوه تعريفا دقيقا، بحيث يأتي على جميع خصائصه ومزاياه التي عرف بها عبر سنين طويلة ،ثم يكون ذلك التعريف محل إجماع ،هذا ما لم يدّعه أحد ،ولا يطالب المعرّف به إلا الاقتراب من مفهومه ما استطاع .

يمكن أن نجاري في تعريفه الدكتور سالم ساسي الحاج ،الّذي اقترح تعريفات متنوعة ،وهي :

1ـ أحيانا يراد به ذلك العلم الذي تناول المجتمعات الشرقية بالدراسة والتحليل من قِبل علماء الغرب .

2 ـ وأحيانا يقصد به أسلوب للتفكير يرتكز على التمييز المعرفي والعرقي والإيديولوجي بين الشرق والغرب .

3 ـ وأحيانا يحدّد مفهومه بالناس الذين يقومون به ،ونعني بهم "المستشرقين" وهم الكتاب الغربيون الّذين كتبوا عن الفكر والحضارة الإسلامية .

**تنبيه** :[كل ذلك الاهتمام بالشرق إنما يراد به السيطرة عليه كما يرى إدوارد السعيد ،الاستشراق = الاستعمار .....وقلّ من كان له هدف علميّ بحت .]

هذا التنبيه سيقودنا إلى تعريف آخر اختاره الأستاذ أحمد عبد الحميد غراب :

4 ـ هو دراسات "أكاديمية" يقوم بها غربيون كافرون ـ من أهل الكتاب بوجه خاص ـ للإسلام والمسلمين، من شتى الجوانب :عقيدة ،وشريعة ،وثقافة ،وحضارة ،وتاريخا ،وثروات ،وإمكانات ....بهدف تشويه الإسلام ومحاولة تشكيك المسلمين فيه ،وتضليلهم عنه ،وفرض التبعية للغرب عليهم، ومحاولة تبرير التبعية بدراسات ونظريات تدعي العلمية والموضوعية ،وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي .

رغم ما يحمله هذا من حقائق تصدق على الاستشراق ،ولكن ليس بإطلاق ، وذلك ما دفع أحد أبرز الباحثين في مجال الاستشراق ،الدكتور مازن المطبقاني إلى توجيه ذلك التعريف توجيها علميا متجردا، خاليا من التعميمات ،ليقول :"إن الاستشراق هو كل ما يصدر عن الغربيين من أوربيين (شرقيين وغربيين بما في ذلك السوفييت ) وأمريكيين من دراسات أكاديمية (جامعية) تتناول قضايا الإسلام والمسلمين في العقيدة ،وفي الشريعة ،وفي الاجتماع ،وفي السياسة والفكر أو الفن ......"

5 ـ ومن تعريفات المستشرقين ما قاله رودي بارت :" الاستشراق علم يختص بفقه اللغة ـ أي لغة الشرق ـ ولما كان الاستشراق مشتقا من كلمة (شرق) ،وكلمة شرق تعني مشرق الشمس فإن معنى الاستشراق يكون علم الشرق أو علم العالم الشرقي " . من بدايات المستشرقين الأساسية التي كانت منطلقا في الدراسات الاستشراقية ،دراسة لغات الشرق ،ومن أهمها اللغات السامية ،ضمن ما يطلق عليه باللغة الفرنسية PHILOLOGIEومعنى هذا المصطلح باللغة العربية فقه اللغة ،وذلك علم برع فيه هؤلاء المستشرقون ،مكنهم من دراسة تراث الشرق ،خاصة القرآن وما كان تابعا له من العلوم المختلفة.

محاولة رفع الحدّة عن التعاريف العلمية مطلوب ،ولكن الحقائق التاريخية تبقى ثابتة لا يمكن المواربة فيها ،ولا إخفاؤها مهما طال الزمن ،فالاستشراق حمل محاسن كثيرة لا تنكر ، ولكنّ مساوئه كثيرة جدا، فقلب الحقائق أكبر وسيلة لهدم الأمم ،وقد أصاب الأمة الإسلامية منها الشيء الكثير ، ولذلك حاول كثير من المستشرقين تغيير هذا المصطلح ،وكما قال المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون: " إن هذا المصطلح قد ألقي في مزابل التاريخ " .

ويرى سالم الحاج أن الاستشراق ليس علما ،بل هو ظاهرة نظرا لما يعتريه من تغيرات دينية وسياسية وعلمية ،ولكل مرحلة من مراحله خصائصه وميزات يعرفها من درس هذه الظاهة بعمق ، وهي أيضا تتراوح ما بين صفتيّ الذّم والمدح والسلب والإيجاب والنفع والضّر .

وتخصصات هؤلاء المستشرقين متنوعة، ووظائفهم شتى ، منهم المبشر والضابط ورجال الإدار الاستعمارية ،كما أن منهم اللغويين والانتروبولوجيين ،والمؤرخين ،وهلمّ جرّا .

وما يلحظ بشكل واضح ـ لا مرية فيه ـ أن مستوى الاستشراق قد تضاءل شيئا فشيئا ،ثم ضعف مستوى المتأخرين منهم من حيث النشاط البحثي والمستوى العلمي ،قال ماسينيون :ممّا أدّى إلى ضعف النتاج الفكري سواء في المؤتمرات والندوات أو على مستوى الإبداع والتجديد ،ونشر الكتب التراثية للمسلمين وطباعتها وتحقيقها .

وإدوارد السعيد[[2]](#footnote-2) يؤكّد على مآل إليه الاستشراق حين يقول عنه :إنه مصطلح لم يعد يتمتع بالحظوة القديمة ،فالمتخصصون يفضّلون استخدام مصطلح الدراسات الشرقية أو مصطلح دراسات المناطق لسببين ،الأول كونه يتسم بقدر أكبر مما ينبغي من الغموض والتعميم ،والثاني هو أن من ظلال معانيه الإيحاء بالاستعلاء الذي كان المديرون الأجانب يتسمون به في عهد الاستعمار الأوربي في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين .

**المراجع :**

1. الاستشراق والاتجاهات الفكرية الحديث في التاريخ الإسلامي ،مازن صلاح مطبقاني
2. الاستشراق : المفاهيم الغربية للشرق ،إدوارد سعيد
3. الاستشراق الفرنسي ،محمد عشماوي زيدان
4. نقد الخطاب الاستشراقي ، ساسي سالم الحاج
5. قصور الاستشراق ،وائل حلاق

1. ) وائل حلاق الفلسطيني ،أستاذ الشريعة في بعض الجامعات الأمريكية ،له مؤلفات مفيدة جدّا ،ومنها كتابه (قصور الاستشراق :منهج في نقد العلم الحداثي ) ،ناقش نظرية إدوارد السعيد حول الاستشراق بشكل علميّ هادئ ،أنصح الطلبة بقراءة كتبه ........ [↑](#footnote-ref-1)
2. ) إدوار السعيد الفلسطيني له مؤلفات فكرية مفيدة ،ولعل أخطرها على الإطلاق كتابه(الاستشراق :المفاهيم الغربية للشرق ) ، استطاع من خلاله أن يفضح الحقيقة الاستعمارية للاستشراق تحت غطاء البحث العلمي ،وقد أزعج به المفكرين الغربين ، والمستشرقين منهم على وجه الخصوص ، وعلى رأسهم المستشرق برنارد لويس العلمية ،أنصح الطلبة بقراءة هذا الكتاب . [↑](#footnote-ref-2)